لقد هيمنت سماء الناس على أرضهم إلى حدّ أنّهم لا يستطيعون إتيان عمل من الأعمال أو الإقدام على أمر من الأمور إلّا كان للسماء القسط الأوفر في سيره ونتيجته. فلا الزارع يزرع، ولا الحائك يحوك، ولا المحارب يحارب إلّا بوحي السماء وتدبيرها. إذا أجدبت الأرض فالجدب من غضب السماء. أو أخصبت فالخصب من فضل السماء. كذلك المرض والعافية، والربح والخسارة، والنصر والهزيمة، والجاه والغضاضة، والفقر والغنى. وكذلك الهناء والشقاء، والمعرفة والجهل، والولادة والموت. فلا عجب إذا راح النّاس يسترضون السماء ويسترحمونها مقدّمين لها القرابين من بواكير حقولهم وكرومهم، والذبائح من لحوم أنعامهم ـ وحتى من لحومهم ـ ومقيمين لها المعابد والأعياد والصلوات في كلّ يوم من أيّام السنة. كيف لا ولها اليد الأولى واليد الطولى في كلّ ما يفكّرون به ويشتهونه وينوونه ويعملونه. ولها السلطان المطلق على أرزاقهم وأعناقهم. في حين أنّهم لا يملكون أقلّ وسائل السلطان على السماء. وتلك لعمري هي العبودية بعينها.

ما خلق الإنسان نفسه ـ آمنت وصدقت. وحياة الإنسان من مصدر فوق الإنسان ـ آمنت وصدقت.